العدد ٢٠٠٢/١٤
الأحد ٧ نيسان

الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب الكريم
تذكار الشهيد كليوبيوس
والبار جرجس أسقف ميتلين
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الحادي عشر

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥:١-٦)

يا إخوةُ،اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قدِ اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فلنَتَمَسَّكْ بالاعترافِ* لأنَّ ليسَ لنا رئيسَ كهنةٍ غيرَ قادرٍ ان يرثيَ لأوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئةَ* فلنُقبلْ اذاً بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كُلَّ رئيس كهنةٍ مُتَّخَذٌ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه ان يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ كما دَعا هرونَ* كذلكَ المسيحُ لم يُمجِدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَل الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةِ ملكيصادَق.

مديح العذراء

من صلوات الصوم الكبير المقدّس خدمة مديح العذراء الذي يتلوه الكاهن أمام أيقونة والدة الإله وهو مقسَّم إلى ٢٤ بيتًا يبتدئ كل منها بأحد أحرف الأبجدية اليونانية وينتهي نصفها بـ«افرحي يا عروسًا لا عروس لها» والنصف الآخر بـ«هليلويا». هذه الأبيات مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية، يتلى قسمٌ واحد في كل يوم جمعة من الأسابيع الأربعة الأولى للصوم، وفي الخامس تُعاد كلها. يسبق هذه الأبيات ترتيل الأودية التسعة. وكل أودية مؤلفة من خمس أو ست قطع يفصل بينها اللازمة «أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا».

ينسب بعض المؤرخين أبيات المديح إلى البطريرك سرجيوس القسطنطيني، والبعض الآخر إلى جاورجيوس البيسيدي حافظ أوراق مكتبة كنيسة الحكمة الإلهية في القسطنطينية. نظمت هذه الأبيات لشكر والدة الإله على إنقاذها مدينة القسطنطينية عام ٦٢٠ من هجمات الفرس والإيباريين (الجيورجيين). ففيما كان الملك هرقل غائبًا عن المدينة، هاجمها الفرس من الشرق والإيباريون من الغرب، وملأوا خليج المدينة بالسفن وبرّها بالخيّالة فحثّ البطريرك سرجيوس الشعب على الاتكال على الله ووالدة الإله، وحمل أيقونتي الرب يسوع ووالدة الإله وسار مع الشعب فوق أسوار المدينة طالبين حماية العذراء.في الليل هبّت عاصفة قضت على السفن جميعها. أيقن الشعب ان والدة الإله هي التي أنقذتهم من «السبي البربري»، فتقاطروا إلى كنيسة والدة الإله ورتلوا لها هذا المديح تسبحة شكرٍ. أما ترنيمة «إني أنا عبدك يا والدة الإله...» فتنسب لرومانوس المرنم (+٥٥٦) وهي قنداق عيد البشارة. والمديح كان يُتلى يوم عيد البشارة في القسطنطينية منذ القرن الثامن وحتى سقوط المدينة سنة ١٤٥٣ ثم انتقل إلى فترة الصوم الكبير.

الأبيات الإثنا عشر الأولى تروي قصة البشارة وولادة يسوع وما أحاط بها من أحداث: بشارة الملاك لمريم (١)، استغراب مريم لكلام الملاك عن الولادة من حبل بغير زرع (٢)، جواب الملاك (٣)، قبول مريم وحلول الروح القدس عليها (٤)، لقاء مريم واليصابات (٥)، شك يوسف ومعرفته بأن الحبل هو من الروح القدس (٦)، مجيء المجوس بقيادة الكوكب والسجود ليسوع والعودة إلى ديارهم وإهمال هيرودس (٧-١٠)،الرحلة إلى مصر (١١)،وسمعان الشيخ وإدخال

الطفل إلى الهيكل (١٢). الأبيات الباقية هي تأمل في سر التجسد الإلهي وفي دور العذراء في تحقيق الخلاص: بتولية العذراء (١٣و١٧)، تواضع الإله وتنازله أن يصير إنسانا مدنوًا منه «مع انه إله» (١٤-١٦)، هدف تجسد الإله «أن يخلص العالم» (١٨)، مدح العذراء ودورها في تحقيق الخلاص (١٩-٢٤).

نحن الآن في منتصف رحلتنا نحو قيامة الرب، لنصلِّ إلى والدة الإله كي تُبعد عنا عثرات الشرير المتربص بنا وتقودنا إلى ميناء الخلاص.

عظة عيد البشارة

صباح الاثنين ٢٥ آذار ترأس سيادة المتروبوليت الياس خدمة قداس عيد البشارة في كنيسة بشارة السيدة،وهو القداس الأول بعد تجديدها، ورُقيّ خلاله الشماس مرقس غاليه إلى درجة الكهنوت. بعد الإنجيل ألقى سيادته العظة التالية:

«نحن خطأة ولا أحد يدّعي القداسة الكاملة. قال الرب لأولئك المعلّمين الكتبة والفريسيين الذين أتوا ليدينوا المرأة الخاطئة ويرجموها: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر».كلنا بحاجة إلى التوبة، إلى الرجوع إلى الله. نحن خطأة لأننا لا نرى الله ولا نصلّي في كل حين، لا نرتاح إلى الله في كل حين،لأننا نرى أمورًا كثيرة أهمّ من الله. كلنا خطأة وكلنا نكتشف عند اللحظة التي فيها ينهار كل البنيان وفيها نواجه الموت، أنّ كل ما فعلنا لا يعني لنا شيئًا إلاّ إذا كان مرضيًا لله وكان الله الدافع إليه. هذا ما حصل مع آدم في البدء عندما أراد أن يصبح إلهًا، وكم من الناس يظنون نفوسهم آلهة! كم من الناس يعتبرون نفوسهم جبابرة! كم من الناس ينظرون إلى نفوسهم وكأنها ملأى بالقوة! لقد خاب آدم قديمًا فلم يصر إلهًا كما اشتهى. لقد اشتهى آدم أن يترك الله. ظنّ، بسبب القوة التي وضعها الله فيه، أنه يستطيع أن يحيا بدون الله، وهذا ما يحصل معنا كل يوم.إن أعطينا صحة وحيينا فيها، ننسى أن الله معطيها ونظن أن الصحة مصدر وجودنا. إذا كنا نملك المال، وتراكمَ المالُ، ننسى الله ونظنّ أن المال المتراكم هو مصدر حياتنا وسعادتنا، ونعتبر أنفسنا عظماء. من يملك المال الوفير يظنّ نفسه عظيمًا.آدم،منذ البدء،غرّته الحرية والقوة وكل شيء منحه إياه الله. لكن الإنسان، متى علم أنه سيموت بعد فترة قصيرة، يتلاشى سحر المال والجاه والقوة في عينيه ويروح ينتقل من مكان إلى آخر في العالم طلبًا للشفاء، ويدرك أن كل ما له من الله وإن لم يرجع إلى الله فهو لا شيء. اليوم أتى الملاك إلى مريم التي أرادت أن تكون مع الله في كل حين وأن تسكن مع الله باستمرار ليسكن الله فيها، فأتى الله إليها لأن من يتقدّم خطوة نحو الله، يهرع الله إليه، شرط أن تكون خطوته صادقة. لكن الإنسان يجرِّب ممّن حوله وينسى الله. العذراء سكنت الهيكل لتصبح هيكلاً، كما المؤمن الذي يدخل هيكل الله ليصبح هيكلاً له مقدّسًا طاهرًا. أتى الله إليها بواسطة رئيس الملائكة جبرائيل.أتى ليخبرها بصيرورة الإله إنسانًا لكي يصير آدم إلهًا.الله يريدك قويًا، كاملاً، موجودًا. الله يفرح بك ويبتهج لكنه لا يبتهج بخطيئتك. الله الطاهر القدوس لا يفرح بقباحة النفس. أراد الله أن يصبح إنسانًا ليعيد آدم إلى الألوهة.رئيس الملائكة بشّر العذراء قائلاً لها: «ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمّينه يسوع. هذا يكون عظيمًا وابن العلي يدعى». وسيقال لها أيضًا «وأنت أيضًا يجوز في نفسك سيف»لأن ابنك هذا الكامل، النازل من السماء، الذي يريد أن يعيد الإنسان إلى كماله، إلى الألوهة، لن يتحمل الخطيئة، لذا سيتألم مع كل متألم وجائع وعطشان ومع كل إنسان تحز في نفسه الخطايا لتقتله، لكنه سيقتل الخطايا وسيتغلب على الشيطان، سيميت الجسد، المندفع

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤-٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّص نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلِّصُها* فانَّهُ ماذا ينتفعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسِهِ* لأنَّ مَن يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئِ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّة.

تأمل

كلمة صليب كانت تعني قبلاً قصاصًا، أمّا الآن فشيئًا مكرّمًا. قبلاً كانت ترمز إلى الدينونة، أمّا الآن فهي أساس الخلاص. لقد أصبح الصليب مصدرًا لآلاف الخيرات. فهو الذي أنقذنا من الضلالة، وهو الذي أنار الجالسين في الظلام، وهو الذي صالحنا مع الله بعد أن كنا أعداء له، وهو الذي جعلنا أقرباء ومقرَّبين منه بعد أن كنّا غرباء وبعيدين عنه. فهو مزيل العداوة وضامن

السلام، وقد صار لنا كنزًا لآلاف الصـــالـــحـــات... فالمسيح ذُبح على الصليب، وحيث الذبيحة هناك عُتق من الخطايا، ومصالحة مع السيِّد، وفرح وعيد. إن فصحنا المسيح قد ذُبح من أجلنا. فأين ذُبح؟ قلْ لي. قد ذُبح عاليًا على العود. المذبح جديد لأن الذبيحة جديدة وعجيبة. (هو نفسه كان الذبيحة والكاهن). من حيث الذبيحة فبحسب الجسد، وأمّا من حيث الكاهن فبحسب الروح. وهو نفسه المقرِّب والمقرَّب بحسب الجسد. إسمع كيف أوضح بولس الرسول هاتين الناحيتين إذ قال: «إن كلّ رئيس كهنة متَّخذًا من الناس يُقام من أجل الناس، لذا وجب أن يكون لديه شيء ما ليقدّمه. «أما المسيح فإنه يقدّم ذاته» (عب١:٥ و٣:٨). ويقول في مكان آخر «المسيح قُرِّب مرة واحدة ليتحمّل خطايا الكثيرين، وسيظهر ثانية لخلاص الذين ينتظرونه» (عب ٢٨:٩).

...ذُبح في العلاء لكي يُطهِّر طبيعة الهواء. في العلاء لا يوجد سقف بل السماء. فقد تنقى الهواء إذ ذُبح الخروف في العلاء، وتطهرت الأرض أيضًا لمّا سال عليها الدم من الجنب. لذلك لم يُذبح تحت سقف ولا في الهيكل اليهودي حتى لا يستغلّ اليهود الذبيحة ويظنّوا أنها نحو شهوته، على الصليب وسيقيمه جسدًا جديدًا،قويًا،لا تستطيع الخطيئة ولا إغراء الشيطان أن تستعبده. أراد يسوع أن يجبل الإنسان من جديد، أن يلده لا بالشهوة واللذة ومن التراب بل من الله الإنسان لكي يصبح الإنسان به إلهًا،فلا تعود للموت غلبة عليه. إذا تشبّه الإنسان بالمسيح، يجعله اللهُ الخالقُ، القادرُ على كلّ شيء، مسيحًا. والإنسان يتشبّه بالمسيح عندما لا يسيء استعمال النِعَم الممنوحة له من الله. إذا أساء الاستعمال فإنه يخطئ، لأن من يخطئ إلى نفسه يخطئ إلى نفسه والآخر ومن يخطئ إلى الآخر يخطئ إلى نفسه أيضًا: «وصيّة جديدة أنا أعطيكم أن تحبّوا بعضكم بعضًا. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا». لقد علمنا الله أن نحب الآخر لينتعش بهذه المحبة، وهذا يتطلّب منا أن نقتل الأنا، مصدر الخطيئة فينا. علينا أن نحافظ على كل نعمة معطاة لنا من الله وأن نثمّرها ونجعلها مباركة بوجود الله في حياتنا. علينا أن نصلب أجسادنا وأنفسنا وأن نتغلب على كل خطيئة فينا لنخلص. هذا ما فعله يسوع المسيح بجسدنا الذي اتخذه: رفعه على الصليب ليقدّسه، وإذا ما صلبتُ الجسدَ والخطيئةَ على الصليب، يقدسُني المسيحُ وأخلص. المسيحي الحقيقي الذي يقبّل الصليب ويكرّمه يعني، بعمله هذا، أنه مستعد للموت على الصليب من أجل الانتصار على خطاياه وانحرافاته وكل ما يعيق خلاصه.سوف، تحلّ نعمة الروح القدس على الشماس مرقس لتُدخله في درجة الكهنوت.الكاهن يحمل بين يديه جسد الرب، لذلك على المؤمن الحقيقي احترام الكاهن وتقبيل يده لأنها مقدّسة بالجسد المقدس الذي تحمله. سوف يقف الأب مرقس أمام مائدة الرب وسيصلّي ويتضرّع إلى الله لكي يرسل روحه القدّوس على الخبز والخمر ويحوّلهما إلى جسد الرب ودمه. كم من النقاوة والطهر والصلاة الحارة يتطلّب هذا! فإذا لم يتهيّأ الأب مرقس بالصلاة والصوم سيتحوّل الخبز والخمر إلى جسد الربّ ودمه لأنّ هذه الاستحالة تتعلّق بالله وحده، لكن السؤال المهم: كيف يمكن أن يقف إنسان أمام جسد الرب ودمه وهو يعلم أنه متّسخ النفس وغير مستحق؟ تعلمون جميعًا أن على المزمع أن يتقدّم لتناول جسد الرب ودمه أن يعدّ نفسه ويصوم ويصلّي بحرارة ويقرأ صلاة الاستعداد للمناولة المقدسة بعد أن يعترف للكاهن بخطاياه، فكيف بالكاهن؟ على الأب مرقس وكل كاهن أن يصلّي بحرارة ليقدّس نفسه والآخرين. الكاهن يقف أمام الله في كل حين لذلك يجب أن يكون الله منغرسًا في قلبه ومشعًّا. على الكاهن أيضًا أن يكون كالملاك جبرائيل مبشّرًا كلَّ إنسان أن بإمكانه أن يلد يسوع ويجعله ينمو في قلبه. بالمعمودية وُلد الإنسان الجديد في المسيح. ورسالة الكاهن أن يجعل هذا الإنسان مدركًا لهذه النعمة فيغذّيها وينمّيها في قلبه. ومن أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها الكاهن الصبر. أليس الأب صبورًا على أبنائه؟ فإذا كان الأب أو الأم يتعبان لتأمين تربية مدنية صالحة لأبنائهما، فكم يجب أن يكون تعب الأب الروحي الذي عليه أن يربّي أبناءه تربية روحية؟ الكاهن يتعب في تربية أولاده ويصبر عليهم ويتمنّى أن يفرحوا بحضور الله فيهم. ولكي يصبر عليهم يجب أن يراهم أولاً وأن يحبّهم.لذلك أتمنى على الأب مرقس وكل كاهن راعٍ أن لا يترك بيتًا،حيثما كان في رعيته،دون أن يعرف كل شخص فيه ويتابعه بمشاكله وأفراحه وأحزانه لأنه هو الذي يبارك الأفراح ويُبعد الأحزان بالتعزية ويساعد على طرد الشرور من القلوب والبيوت. وإذا تحلّى الكاهن بهذه الصفات أم لم يتحلَّ، إذا ما دخل بيتكم فهو محترم لأنه يدخله باسم الله، وهو ممثل الله

أمامكم. في الاحتفالات العالمية نرى ممثلين، لكننا لا نعرف إذا كانوا ممثلين لائقين بمن انتدبوهم، لكنهم يُحترمون ويكرَّمون بسبب من يمثّلون. الكاهن يمثل الله ويجب أن يُكرَّم بغضّ النظر عن استحقاقه أو عدم استحقاقه. في هذه الأيام نعيش نحن اللبنانيين في قلق تعدّدت أسبابه التي نسمع عنها من المسؤولين والاختصاصيين العارفين، لكن النتيجة واحدة: قلق عند الشعب وبطالة وفقر وهجرة... لمَ لا نقيم نحن المؤمنين صلوات من أجل وطننا؟ لمَ الاتكال على السياسي والاختصاصي؟ لمَ لا نتّجه إلى الله من أجل أن يحفظ وطننا وينجّيه ممّا قد يحصل له؟ فكما نصلّي من أجل استدرار المطر وطرد الأوبئة ودرء الأخطار، لمَ لا نصلّي من أجل أن ينقذنا الله ممّا نحن فيه؟ لبنان يخلص إذا بقي فيه مؤمنون حقيقيون ولو قليلون.سوف نشهد حدثًا تاريخيًا هو اجتماع الملوك والرؤساء العرب، وعلينا أن نصلّي كي تصدر عن هذه القمة قرارات تليق بالإنسان وترفع من شأنه. وهكذا يفتخر لبنان بكونه البلد المضيف. لكن وطننا يهان عندما لا يُنظَر إلى الإنسان وكرامته إن في لبنان أو في فلسطين أو في أيّ بلد آخر، وعندما يتسلّط أقوياء هذا الدهر والمتمسّكون بأموالهم ومصالحهم على الشعوب المستضعَفة ويقتلون الإنسان في أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان ... ويهدّدون الصغار ويستكبرون على الضعفاء. يجب أن نصلّي لكي ينتفض الضمير عند من لهم ضمير، أمّا من لا يتحرّك ضميرهم فلنطلب من الله أن يحيي ضمائرهم لأن من يرى الإجرام الحاصل في فلسطين ولا يدمع ولا ينفعل فليس بإنسان. ولا نطلب منه البكاء على من يموتون فقط لأنهم في رحمته، إنما على الضمائر الميتة في من يدّعون العلم والمعرفة والتقدّم. يجب أن نصلّي من أجل أن نكون واحدًا في هذا البلد. إنه وقت الصلاة والمحبة، وقت الحقيقة والمصارحة، ونتمنى أن لا يُؤذى أحد لكننا نأمل أن يُشار إلى من يؤذي الوطن والمواطن. نتمنى أن يُعلَن من تسبّب ويتسبّب بما وصلنا إليه. نتمنّى أن يُحاكم السارق، كلّ سارق ولو كان مسؤولاً كبيرًا أو صغيرًا، ولو كان مدعومًا من هذه الجهة أو تلك، لأن مصلحة الوطن فوق مصلحة أي إنسان. لكننا لن نشهد اليومَ الذي سيُحاكم فيه مثل هؤلاء، لذلك يجب أن نصلّي وخاصة من أجل القضاء والجيش، الجيش الذي نحترمه لكننا نتمنى إبعاده عن السياسة.الجيش هو المحامي عنّا الذي نفرح به ونرتاح إليه، لكن انغماس الجيش فيالسياسة يسيء إليه. أمّا القضاء، فإذا اختلّ في بلد ما فقَدَ البلدُ هيبته، ونحن نصلّي لكي يحافظ القضاء في لبنان على نزاهته واستقامته. كلّنا نعلم أن أحكامًا صدرت مؤخرًا على بعض الأشخاص وقيل من عارفين أنها لم تكن أحكامًا عادلة. أنا لا أعرف أين الحقيقة لكني أخاف من أن تكون السياسة تركت بصماتها على القضاء، لذلك أصلّي من أجل تحريك ضمائر القضاة كي تكون أحكامهم عادلة وغير جائرة، لأنه متى اختل القضاء ضلّ المجتمع. أصلّي كي يعود كلّ قاضٍ إلى ضميره ولا ينظر إلى كرسيه ومركزه ومصالحه المادية وغيرها. أصلّي كي لا يُظلم أيّ إنسان. في هذا العيد المقدس، نضرع إلى والدة الإله وإلى ابنها وربنا أن نرى تباشير السلام آتية نحو هذه المنطقة لكي يكون كلٌّ منا ملاكًا يبشِّر الناس بالسلام الآتي. دعائي أن تُزرع الشجاعة والقوة في قلب كل من يعرف المسيح لكي يتفوه بكلام الحق في أوانه وفي غير أوانه. أعايدكم جميعًا وأشكر كل من ساهم في إعادة هذه الكنيسة إلى رونقها وجمالها لنعود إلى الصلاة فيها والفرح. باركهم جميعًا وأغدق عليهم نِعَمَهُ وقدّسهم وأبعد الشر عنهم وعن هذه الكنيسة وعن كل مكان».

قُدّمت من أجل أمّتهم فقط. لذا تمّت خارج المدينة والأسوار لنعلَم أن الذبيحة جامعة، والتقدمة من أجل الأرض بأسرها. ولكي تعلَم أيضًا أن التطهير عام وليس جزئيًّا كما هي الحال عند اليهود. فقد أمر الله اليهود بأن يتركوا الأرض كلّها، وأن يبقوا لهم محلاً واحدًا لتقدمة الذبائح والصلاة، لأن الأرض كلّها كانت مدنّسة من دخان ورائحة ذبائح اليونانيين عليها.

أما نحن، وقد جاء المسيح وطهّر كلّ المسكونة وأصبح كلّ مكان فيها مقامًا للصلاة، فلذلك كان بولس الرسول ينصح بالصلاة في كلّ مكان ودون خوف ووجل: «أريد أن الرجال يصلّون في كلّ مكان وهم رافعون أيدٍ بارّة» (١ تيمو ٢:٨). أرأيت كيف تطهّرت المسكونة إذ أصبح في إمكاننا أن نرفع أيدٍ بارّة في كل مكان، لأن الأرض بأسرها أصبحت مقدسة، أقدس من قدس الأقداس. هناك كان يُقدَّم خروف بهيميّ، أما هنا فخروف روحيّ. وبمقدار ما تكون هذه الذبيحة أسمى من تلك، كذلك يكون التقديس: لذلك فنحن نعيّد للصليب.

القديس

باسيليوس الكبير